

وكذلك القول في العادات من المنام وتناول الطعام والمنطق واللباس ونحوها
ينبغي الاخذ فيها ومنها القسط والوسط فان كل طرفي قصد الامور ذميمة كما يقال
ولعلم انه قد يخفى حد الاقتصار في الامور ويعسر الوقوف على الوسط منها الا على
ارباب البصائر والدين الراغبين في العلم واليقين فمن اشكل عليه شيء من ذلك
فعليه بالرجوع اليه فان اورد له وجودهم كما هو الغالب في هذا الزمان فعليه
بالوقوف والتثبت حتى يبين له الصواب ومن احسن الطرق في ذلك عند
وقوع الالتباس ان ياخذ في الامور المستحسنة في الجملته مثل السخيا والحياء
والتواضع الى طرف الريادة ويحيل في الامور العبادية مثل الاكل والنوم والنطق
الى طرف القلة والاقتصار هذا عند الالتباس والا فالمجود هو المتوسط ومن طبع
النفس ميلها في الامور العبادية الى طرف الافراط والاستكثار وفي الامور الدينية
الى طرف التقصير والتفريط فيكون الاحتياج لما يخلو هو لها في الطرفين من السداد
والصواب ان شاء الله وقد اشار حجة الاسلام رحمه الله في بعض كلامه
الى شيئين هما ذكرناهما وبما نذكر انه اذا اشكل عليه مثلا في حال البذل للمال
انه مقتدر ومبذر فليقل قليلا الى طرف التمسك فانه احسن من التفتير
والنفس منتهية بدعوى التمسك برغبة حب المال على النفوس وميلها الى
الامسك واذا اشكل عليه في حال التواضع انه ما يلبس الى طرف الافراط منه او الى
طرف التفريط مال الى طرف الافراط قليلا ما ذكرناه في خلق السخيا والبذل
واما في العادات فاذا اشكل عليه مثلا في قدر ما يتناول من الطعام او يتعاطى
طاه من المنام انه مفراط مستكثر او مغلل مقتصر فليقل الى طرف التقليل
والاقتصار فان النفس منتهية في ذلك ولها فيه حظ وان التقليل من ذلك
والاقتصار محمود على الاطلاق ما لم يشته صاحبه الى ان يضر عقله او
جسمه فاعلم هذه الجملة فانها مضمرة على علم ربك الله انه يذكر عن جماعات
من اهل الصلاح والتصوف امور قد تقدم ترك الاقتصار ومجاورة حد
الوسط وذلك في العبادات بالاكثار منها وفي العادات بالمجانبة لها
الى حد تكاد تصعب عنه قوت البشر وذلك منهم رحمة الله عليهم في
الهدايات محمود على قصد باضة النفوس وغربتها وتهديب احوالها
وتلطيف كتاباتها وذلك لا يتم كما ينبغي الا على وجه يشبه الافراط والمجاورة

و

للمحكاح الدابة الجرحون لا يمكن تدليلها واسلاستها حتى تستقيم علم ما يراد منها
من الركوب والعجل الا بان يظل لها من العلف وتكثف من العلف فوق ما تطيق الى ان تنقاد وبها
هب جاجها فنقد ذلك ترد الى الوسط فخذ اوجه ما نقل عنهم من ذلك في البدايات وهو
وجه صحيح موافق للحكمة وحسن السياسة واما ما نقل من ذلك عن بعض اهل النهايات
منهم فهو محمول على غلبة الاحوال واستنبال الانوار والمكاشفة بالاسرار حتى يخرج
العبد عن مقتضيات البشرية ويصير الى حال يشبه حال الملائكة الكرام من كثر الوجوه
ويكون ذلك في بعض الاوقات من غير استمرار مطلق وذلك مسلم لصاحبه وهو معذور
فيه ومعذوري باب الكرامات الحارفة للعادات فمن ذلك ما حكى عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه كان لا يأكل الا في خمسة عشر يوما فاذا دخل شهر رمضان طوى
الشهر كله وعن ابي عبيد بن جراح انه كان اذا دخل شهر رمضان يدخل في بيت
وبما مرز وجهه ان تسد عليه الباب وتترك كوة صغيرة تترك اليه منها برغيف كالبيلة
فاذا خرج الشهر فتحت عليه الباب فتجد ثلاثين برغيفا في زاوية البيت وعن بعضهم انه كان
لا يأكل الا في السنة الاكلة واحدة وعن سيدنا الفطرب الفقيه المقدم محمد بن علي علكي
رحمه الله ونقح انه مكث في اخر عمره نحو اربعة اشهر لم يأكل فيها طعاما ولم يشرب شرابا
فان كان في اخر يوم من حياته الرجوع على شي من الطعام فلما احس به فتح عينيه وقال
صبرتم مني او نحو هذا ثم توفي الى رضوان الله وحكاما يحكم في ذلك كثيرة عن اهل البدايات
منهم وعن اهل النهايات والوجه فيها ما ذكرناه في حالين وفيها وجوه اخرى وكلها
سابقة ومسلية لاهلها نفع الله بهم اعلم الرفق في جميع الامور مطلوبة
ومحبوب ومرغب فيه شرعا وعقلا وينبغي به ومعه من المطالب والخيرات ما لم ينشأ
مثله ولا قريب منه مع العنف والحرق والرفق صفة الحكا الرحمان عباد الله
الذين اصطفى قال الله تعالى في وصف نبيه سيد البشر صلوات الله عليه وسلامه
فيما رخصه من الله لذات لهم ولو كنت فضلا غلبت القلب لافضون حولك الاية وقال تعالى
خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقال تعالى وعباد الرحمن الذين
يسمنون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله رفيق يحب الرفق في الامور كلها الحديث وقال عليه السلام
انما ان الرفق في شيء الا رانه ولا نزع من شيء الا شانه ومعنى الرفق محاولة الامور والخذ
فيها باللطف واليسر والوقار والتؤدة وفي الحديث انه عليه الصلاة والسلام